الفكر القومي العربي في الصحافة العراقية

بين عامي ١٩٤٨-١٩٥٨

أطروحة مقدمة الى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في الآداب

من

جليل وداي حمود

باشراف

الدكتور هادي نعمان الهيتي

١٤١٢ هـ

١٩٩١ م

وتعد الصحافة — والكتاب ايضا — من الوسائل الجماهيرية التي رافقت الفكر القومي في العراق منذ بداياته الاولى حتى اليوم ، على العكس من الوسائل الجماهيرية السمعية والمرئية التي جاءت متأخرة بالقياس الى الفترة الزمنية التي ظهر فيها الفكر القومي ، اضافة الى ان هذه الوسائل ظلت على مدى تاريخها خاضعة لسيطرة الدولة . وبالفعل شغل الفكر القومي العربي اهتمام الصحافة ، بالشكل الذي يمكننا القول بأنه كوّن ظاهرة ملحوظة فيها خلال العدد من سنة ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٨، حاولت فيه الصحافة انعكاسا لأبعاد الفكر القومي العربي المختلفة .

ومشكلة البحث تتجسد في وجود كم هائل من الرسائل الصحفية القومية التي تنطوي على فكر قومي عربي ، يمكن من خلال تحليلها تشخيص اتجاهات الفكر القومي الذي تتبناه ، لاسيما وان هذه الرسائل لم تحظ من قبل الاهتمام الكافي من البحث والدراسة المنهجية و الاكاديمية ، وعليه فأن اعداد دراسة منهجية (أكاديمية) بهذا الخصوص — لاتعالى على الدراسات السابقة — مسألة ضرورية .

وتحقيقا للغرض الذي يتغياه البحث ، فقد تتبعنا الصحف السياسية والثقافية الصادرة في العراق خلال المدة من سنة ١٩٤٨—١٩٥٨ . ووجدنا ان تحليل المضمون كأسلوب علمي يرقى الى مستوى المنهج يحقق لنا معرفة اتجاهات الرسائل الصحفية القومية . لذا فقد أستخدمنا هذا الاسلوب في هذا البحث ، متخذين من الاتجاهات كفئات لتحليل مايكتب من رسائل قومية في هذه الصحف ، اذ أن فئات الاتجاهات تعد من بين اكثر الفئات استخداما في تحليل المضمون . كما اتخذنا فئة اخرى هي فئة الانفعالية التي تشير الى اوزان الاتجاه وشدته من خلال الاشكال الصحفية التي يصاغ فيها . ومن بين وحدات التحليل المختلفة اخترنا وحدة الموضوع اي الوحدة الطبيعية للمادة الاعلامية ، وقمنا بتحليل جميع الرسائل القومية على اختلاف الفنون الصحفية التي سكبت فيها . ومن خلال قراءتنا لكل رسالة من الرسائل القومية على حدة ، أستخرجنا الفئات والاتجاه السائد فيها وتقدير انفعاليه القائم بالاتصال . وبذلك تم تحديد الاتجاهات ومجموع تكرارها ونسبها المئوية وشدة الانفعاليه ، ورتبة ترتيبا تنازليا كل حسب المحور الذي يتخذه .

واجهت في فترة اعداد البحث مشاكل عديدة منها : قصر المدة الزمنية المتاحة لأكمال البحث ، حيث ان بحثا يتقصى الظاهرة القومية

المقدمة

لعل فقرة ليست بالقصيرة وأنا أتأمل معنى العبارة التي قالها أحد المفكرين العرب أن الحديث عن الفكر القومي في الوطن العربي بدأ يحتضر ولابد من تجديد الحديث عنه . ومازلت (رغم تراجع الاهتمام بالفكر القومي في الساحة العربية) أومن بأن الفكر القومي مازال حيا ويملك حضورا ، وقادرا على التأثير في الجماهير العربية . تلك العبارة وهذا الايمان هما اللذان رشحاني (حتى فكرة اعداد بحث يتناول الفكر القومي العربي في العراق ، تتم دراسته (وفق منظور أتصالي) من خلال الصحافة العراقية الصادرة في الحقبة من سنة ١٩٤٨-١٩٥٨ ، يستهدف الوصول الى معرفة الاتجاهات التي تتعلق بمنظور الصحافة العراقية الى الفكر القومي العربي ، ومواقف الفكر القومي العربي في الصحافة العراقية . ذلك الفكر الذي استطاع التأثير (بمعناه الدقيق) في بدايته نشوئه في أوائل القرن العشرين في بعض النخبة العراقية المثقفة ، وسرعان ما أنتشر بشكل فعال جماهيري في ثورة العشرين . واذا كانت فترة العشرينات اشغلت النخبة في بناء الدولة العراقية الحديثة عن الفكر القومي - تمثل ذلك في خلو برامج الاحزاب السياسية في تلك الحقبة من الافكار القومية ، على الرغم من ان الحركة الوطنية كانت لها مواقف قومية معروفة - فأن فترة الثلاثينيات شهدت نشاطا قوميا متصاعدا ، بدا جليا في ظهور الجمعيات القومية كجمعية الجوال والمثنى ، وبلغ ذلك النشاط ذروته في ثورة مايس عام ١٩٤١ . غير ان فترة مابعد الحرب العالمية الثانية ، وماشهدته من ظهور الاحزاب السياسية التي تبنّى قسم منها الفكر القومي ، لاسيما تلك الاحزاب التي سعت الى بناء تركيبات عقائدية ربطت من خلالها بين مفاهيم الفكر القومي والمفاهيم الثورية ، وبناء محتوى اجتماعي اقتصادي له من اجل احداث التغييرات (الراديكالية) في بنية الواقع العربي . من ذلك يتضح اهمية دراسة الفكر القومي العربي أواخر الاربعينيات والخمسينيات .

لقد أدركت الجهات (احزاب ، جمعيات ، أفراد) - التي يشغل الفكر القومي حيزا من اهتمامها - اهمية الاتصال بأنواعه الشخصي والجمعي والجماهيري ، وخصوصا الصحافة في بث الفكر القومي العربي بين الجماهير ، وحمل لواء الدعوة له .

في الرسائل الصحفية القومية على مدى عشر سنوات في خدم عائل من الصحف التي بلغت اعدادها اكثر من ((٢٨٠٠٠٠٠)) عددا ، مسألة ليست بالسهلة ، وهي بحاجة الى فريق عمل ، وليس الى باحث واحد ، فكيف اذا كانت المدة الخاضعة سنة واحدة ؟ ومن العقبات الاخرى التي تبدو على العكس من العقبات التي يعاني منها الباحثون ، وهي ان المؤلفات التي تناولت الفكر القومي العربي من الكثرة بمكان يصعب معها الاحاطة بها جميعا ، لفرزها وتبويبها لأتاحة حرية اختيار مايفيد البحث . فلا غرابة اذا لم تتعرض لمؤلف على قدر من الاهمية . رافق ذلك عدم توفر بعض المراجع المهمة ، فعلى سبيل المثال : ان المؤلفات الكاملة للاستاذ ساطع الحصري والرئيس جمال عبد الناصر غير متوفرة في جميع المكتبات الحكومية بضمنها المكتبة الوطنية العراقية والمكتبة المركزية التابعة لجامعة بغداد ، وماتحتويه المكتبتان لايتعدى خمسة كتب لكل منهما . ويبدو ذلك غريبا بعض الشيء . لذلك لجأ الباحث في مثل هذه الامور وغيرها الى الاستعانة ببعض الاساتذة والمعارف ، حيث زودوه مشكورين بالكثير من المؤلفات ، اذكر منهم الدكتور هادي نعمان الهيتي المشرف على البحث ، وعضيدة الاستاذ ساطع الحصري التي زودته بجميع مؤلفات المرحوم جدها .

ان المنهجية المتبعة في البحث التفت نشيجه على خمسة فصول ، تناول الفصل الاول التعريف بموضوع البحث وأهميته ومشكلته وهدفه ، والمفاهيم ذات العلاقة بالفكر القومي العربي كالفكر والتفكير والشخصية القومية والامة والوعي القومي والطابع القومي والقومية العربية ومقومات القومية العربية ، كما تناول الكشف عن طبيعة العلاقة التي تربط بين الفكر القومي العربي والمتغيرات الثقافية كالوحدة والحرية والاشتراكية والدين ، وتناول ايضا امثلة على كيفية التأثير الاجنبي في الفكر القومي العربي . أما الفصل الثاني فتضمن دراسة الفكر القومي العربي في النشاط الاتصالي السياسي مستعرضين النشاطات الاتصالية السياسية التي قامت بها الجمعيات والنوادي والاحزاب والافراد ودور النشر والمؤتمرات والصحافة . بينما عنى الفصل الثالث بالخطوات التي اتبعت في اجراء تحليل مضمون الرسائل الصحفية القومية ، فيما فيها التعريف بتحليل المضمون وكيفية استخدامه ، كما بين الاجراءات المتخذة لاختيار عينة ممثلة للمجتمع ، والمجال الزمني الذي يغطي البحث بدراسته .

وفي الفصل الرابع والخامس ، أجريا تحليلا لمضمون مادة البحث ، وصنفنا الاتجاهات التي حصلنا عليها الى صنفين : الاول ((يضم الفصل الرابع)) يتعلق بمضمون الصحافة العراقية الى الفكر القومي العربي ، والثاني ((يضم الفصل الخامس)) يتعلق بمواقف الفكر القومي العربي في الصحافة العراقية . جرى بعد ذلك تفسير النتائج .

ومن النتائج التي توصلنا اليها ، تحديد هوية القومية العربية بأنها قومية عربية حيث حصل اتجاه ((القومية فكرة ذات هوية عربية)) في المرتبة الاولى على سلم اتجاهات محور ((ماهية القومية العربية)) اذ بلغت نسبته ٢٨٪ كذلك حصل اتجاه ((الدعوة الى الوحدة العربية الشاملة)) على المرتبة الاولى في سلم اتجاهات محور ((الوحدة العربية)) اذ بلغت نسبته ٢١٫٨٢٪ ، وفي محور ((اللغة العربية)) حظي اتجاه ((الدعوة الى الدفاع عن اللغة العربية)) بالمرتبة الاولى ، اذ بلغت نسبته ٥٠٪ في حين وقع اتجاه ((استذكار الاحداث القومية البارزة)) في المرتبة الاولى في سلم اتجاهات محور ((التاريخ العربي المشترك)) اذ بلغت نسبته ٢٠٫٨٦٪ ، اما في سلم اتجاهات محور ((الموقف من القضية الفلسطينية ومواجهة الصهيونية)) فقد جاء اتجاه ((اتهام الحكومات العربية بالتهاون في التصدي للاعتداءات الصهيونية)) محتلا المرتبة الاولى بنسبة مقدارها ١٦٪ . وفي محور ((الموقف من قضايا التحرر العربي والاستعمار)) أحتل اتجاه ((فضح اساليب الاستعمار غير العسكرية)) المرتبة الاولى ، بنسبة مقدارها ٢٧٫٥٨٪ .

ومن خلال مقارنة النتائج التي توصلنا اليها بخلفية البحث النظرية تبين :

أولا ـ عنيت الصحافة العراقية كثيرا بتشخيص الهوية العربية للقومية العربية .

ثانيا ـ اتخذ التأكيد على القومية العربية بعدا عاطفيا اكثر من كونه عقيدة في الصحف العراقية .

ثالثا ـ ان علاقة الفكر القومي العربي بالدين الاسلامي لم تحسم بشكل نهائي في الرسائل الصحفية القومية .

رابعا ـ كانت بعض المقالات متحمسة وكانت انفعالاتها شديدة ، وطغى ما أفتقد الى الموضوعية والعمق والشمول .

خامسا ـ بينت الصحافة العراقية بأن القومية لا ترفض التطور والتقدم ، وأنها تتضمن ابعادا انسانية .

سادساً ـ ركزت بعض الرسائل الصحفيه القوميه على العرق والدم ، وبذا لم يكن الانسجام واضحا بين المواد الصحفيه والافكار النظريه عن القوميه .

سابعاً ـ لم تعن الصحافه بمناهج مصادر واحتياطي للفكر القومي العربي بشكل واضح .

ثامناً ـ لم تول الصحافه العراقيه الى مناقشه مسأله القوميه بصوره علميه .

تاسعاً ـ افتقرت الصحافه العراقيه في تناولها لتحرير الحريه على تحرير الوطن العربي من الاستعمار دون تحرير الوطن العربي من الاستعباد الوطني .

عاشراً ـ لم تبلور الصحافه العراقيه التيارات الفكريه حول الفكر القومي العربي بالقدر الكافي .

احد عشر ـ تناولت الكثير من الرسائل الصحفيه القوميه فكره اقامه التعاون والتضامن بين الاقطار العربيه ، وجاءت هذه الفكره بطابع البديل عن تحقيق الوحده العربيه .

اثنا عشر ـ ان الخاصيم التي طرحتها الصحافه العراقيه حول الفكر القومي العربي والمقومات الاساسيه له ، خاصيم غير محدده وبلغتها الغموض مما جعلها مشوشه وغير مجسده .

ثلاثه عشر ـ لم تعن الصحافه العراقيه العنايه اللازمة باللغه العربيه بعدها مقوما أساسيا من مقومات القوميه العربيه .

أربعه عشر ـ لم تناقش الرسائل الصحفيه القوميه التاريخ العربي المشترك من منطلق ان التاريخ العربي المشترك يشكل مقوما من مقومات القوميه العربيه .

خمسة عشر ـ انشغلت الصحافه العراقيه بمواقف آنيه .

ستة عشر ـ تناولت الصحافه العراقيه القضيه الفلسطينيه ومواجهه الصهيونيه بشكل موسع .

سبعه عشر ـ اولت الصحافة العراقيه قضية تحرير الوطن العربي من الاستعمار اهميه ملحوظه .

وبوجه عام فأن المقارنة التي اجريناها بين نتائج البحث وخلفيته النظريه